بين التخصصات والمحتويات
دراسة تصورية لبناء برامج اللغة والأدب العربي في ظلّ نظام " ل.م.د"

د. قاسم قادة بن طيّب
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي-تيسمسيلت(الجزائر)
kada.gacem@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2017/07/16 تاريخ القبول: 2017/08/13

ملخص المقال:

تناولت في بحثي هذا قضية اللاترابط بين التخصصات والمحتويات المدرّسة، وحاولت أن أقدّم تصوّراً جمعت فيه بين النظري، والإجرائي بغية تمكين القائمين من الالتفات إلى مثل هذه الإشكالات التي قد تعيق السير الحسن للفعل التعليمي على مستوى مشاريع اللغة والأدب العربي في نظام " ل.م.د " وتأثيرها السلبي على حقل اللغة العربية، مُركّزاً في طرحي هذا على فعل التقويم .

الكلمات المفتاحية:
التخصصات،المحتويات،اللغة العربية، التقويم، ل.م.د

ABSTRACT:

I dealt in my research this The issue of non-interlinkages between the disciplines and contents of the school I tried to present a vision that brought together the theoretical and the procedural In order to enable those who are aware of such problems Which may hinder the good conduct of the educational work at the level of Arabic language and literature projects in the system " L M D " And its negative impact on the Arabic language field Focusing in this way on the work of the calendar

key words: Specialties - Contents - Arabic - Calendar - "Lmd"

مقدّمة:

كثيرة هي الإصلاحات التي نُعلِنُها في شأن حياتنا الخاصّة سواء أتعلّق الأمر بترقية الجانب المعرفي، أم الاجتماعي ؟ وقد نصل إلى مُبتغانا فيما شرعنا من إصلاح، إذا وفقط إذا كانت الخطّة مُحكمة وواضحة المعالم والأهداف، وإذا التزمنا بتنفيذها وفق معالم ورُؤى مُناسبة .

إنّ المتصفح لِجلّ مُحتويات البرامج التعليمية الخاصة بنظام " ل.م.د " في حقل اللغة والأدب العربي على مُستوى الجامعات والمراكز الجامعية الجزائرية، تتبادر إليه جملة من التساؤلات أهمها :

- هل الفِرق التربوية على مستوى الأقسام والمعاهد ركّزت على عنصر التخطيط في ضبط محتويات ومشاريع الماستر في حقل اللغة والأدب العربي ؟

- إذا فرضنا أن هناك ثمّة اجتهادات مُعتبرة في الميدان، فما هي العلاقة بين ما خُطِّط كتخصّصات ومحتويات بما هو حاصل كمستوى فعلي مع جلّ طلبة المستوى .

- إلى أيّ حدٍّ بلغ حرص المؤطرين : أساتذة، وهيئات إدارية في الالتزام التنفيذي وفق ما هو بيداغوجي محض ؟

مثل هذه الأسئلة، وغيرها أودّ أنْ أُعالج بها موضوعنا هذا لسبب واحد، وهو أنّ المُحتويات المُدرَّسة في مُستويات نظام " ل.م.د " لا تختلف كثيراً عن المُحتويات المُدرَّسة في النِّظام الكلاسيكي الأمر الذي حصر الدراسات الأدبية واللّغوية في حيِّز ثابت ضيِّق مُقارنة بما يحدث من قفزات وتطورات في الواقع المعاين، الشيء الذي يفرض علينا مُراعاة المُحتويات للتخصصات، وربطها بالتطور الحاصل على مُستوى الجبهات، وذلك لضمان مواكبة تعليمية هادفة ومؤثرة .

لقد اجتهدت في بحثي هذا حيث تعرضت لبعض الأساليب الموضوعية في شأن التَّخصّصات اللغوية والأدبية، وأهمّ السبل البيداغوجية المُتَّبعة أثناء استخلاصها إنْ على المستوي الجماعي – الخلايا التنسيقية بين أساتذة المستوى – أوْ على المُستوى الفردي المحصور في الكفاءة البيداغوجية والعلمية للأستاذ في ظلّ ربط المُحتويات بالواقع الفعلي، وكيف يُمكن أن يُؤثر ذلك في ارتقاء الطرف المُتلقي، وتغيِّر واقعه .

بناء المناهج بين الماضي والحاضر: إنّ حاجة المجتمع للتربية والتعليم اقتضت من القائمين على هذا الحقل أثناء بناء المناهج التعليمية في أن يتعاملوا معها تعاملا أملته ظروف تلك الحقبة، لذا تميَّزت مناهجهم بجملة من المواصفات أهمها : البناء التقليدي للمنهج الذي " يعني مجموع هذه المواد الدراسية التي يتم توزيعها على سنوات الدراسة ومراحلها المختلفة، ويُطلب من الطلاَّب دراستها بصرف النَّظر عن حاجاتهم واهتماماتهم وميولهم من جهة، ومدى ملاءمتها للحياة التي يحيونها من جهة أخرى"[1] ، فالبناء الموضوعي والنَّاجح للمناهج التعليمية هو الذي تراعى فيه اهتمامات المتعلمين ورغباتهم، وربطها بِمستجدات الحياة، وكلَّما راعينا حاجيات المتعلم ضمِنّا الحضور الواعي والفعَّال الذي بدوره يفضي إلى تغيِّر جذري في حياته، ولحظتها يمكن أنْ نحكم لسيطرة المعرفة وتوجيهها للمجتمع .

مثل هذه المُسلّمة إذا أردنا أنْ نسقط أجرأتها على واقع اللغة والأدب العربي في ظلّ نظام " ل.م.د "، بالإضافة إلى ما هو معمول به في مجال التوجيه يتعين على القائمين الاعتماد على نظام الاستبيان الذي ينبغي أنْ تتوفر وثيقته على جملة من الأسئلة المحكمة، والتي ينبغي أن تكون متعلقة برغبة الطالب، وأصول مادة اللّغة والأدب العربي (انظر الاستبيان المقترح صفحة 09)بعد مِلئها بعناية من قبل الطلبة الذين أنهوا السنة الأولى بنجاح تُكلَّف لجنة مُكونة من أساتذة المستوى - بفعل مُعايشتها للطَّلبة – دراسة وفحص الاستبيانات لضبط ملامح الطلبة، واستنباط ميولاتهم.

قد لا نكتفي بالاستبيان بل لا بُد من عقد جلسات ميدانية لضبط رغبات الطلبة التي ينبغي أنْ تقرأ من قبل خلية الأساتذة وعلى مِنوالها تُحدَّد الشَّعب أوْ التَّخصُّصات، كأنْ تقف على أربعة أُطر هي بمثابة ترجمة لِميولات الطلبة مثلاً : 1 – الدراسات القرآنية. 2- المعجمية. 3- النقد الأدبي. 4 – الأدب المسرحي.

نحن إذْ نقترح هذا التصوّر لا نقصد به السداسيين الأوّلين باعتبار هذه المرحلة تتضمن " التعليم القاعدي والاستكشافي المُشترك ما بين نفس مجموعة فروع الميدان، تُشكل هذه المرحلة بالنسبة للطالب مرحلة الاندماج و التكيُّف مع الحياة الجامعية، حيث تمتدَّ على مدى السداسيين الأولين من التكوين،" [2] وقصد بلوغ مثل ذلك يحرص رئيس ميدان " ل.م.د " على تنظيم جلسات تنسيقية بين مجموع أساتذة المستوى، حيث يُحدَّد التخصُّصات النهائية المُستوحاة من : الاستبيان - بطاقة رغبة الطالب – معدل الطالب – جلسات التنسيق إلخ...

الوظيفة البيداغوجية للفرق التربوية: حينما تُضبط التَّخصُصات، ونتحكم في آلياتها تُسند المهمَّة إلى الأساتذة ويبقى المطلوب منهم – كُلٌ حسب تخصُّصِه – الاجتهاد في نسج المحتويات من الأهداف المسطرة مُراعين في ذلك جملة من المعايير منها : "

- أن يكون المحتوى مرتبطا بالأهداف
- أن يكون المحتوى صحيحا وذا أهمية
- أن يكون المحتوى ملائما للواقع الاجتماعي والثقافي الذي فيه المتعلمون
- أن يكون المحتوى متوازنا في شموله وعمقه
- أن يراعي المحتوى الميول والحاجات
- أن يتصف المحتوى بصفة القابلية للتعلم من جانب المتعلمين
- ينبغي أن تتمثل في المحتوى معيار العالمية ."[3]

حينما تُستنبط الأهداف من الغايات يسهل لحظتها تسطير محتويات مرتبطة بالأهداف، والإشكال الذي ينبغي أن نُشير إليه هنا هو هل كلَّ المحتويات تخدم الأهداف من حيث السلامة، والأهمية ؟ الأمر الذي يطرح بحدَّة في قضايا تدريس الأدب، حيث تتجلَّى النَّزعة الذاتية في كثير من القضايا، فتنغلق الأطر الإبداعية أمام الطلبة، ويبقى هدف كل طالب هو النجاح في المقياس، و للتقليل من حدَّة هذه الظاهرة نقترح إحداث مجالس تنسيقية بين الأساتذة لضبط المراجع المعتمدة من قبل الأساتذة، والتي ينبغي أنْ تكون متوفرة لتمكين الطالب من الرجوع إليها عند اقتضاء الحاجة، فنصبح لحظتها أقرب إلى الموضوعية من حيث الأهمية، وصحَّة المحتوى .

ولاستمالة الطالب أكثر يتعين على الفريق التربوي الاجتهاد في إحداث ملاءمة بين المحتوى، والواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيش فيه، وفي حقل اللُّغة والأدب قد يصعب على القائمين إحداث هذا التوازن

لاعتبار وحيد، وهو أنَّ الواقع الاجتماعي والثقافي الذي نعيشه يختلف تماما عن العصور الغابرة التي نُسجت فيها أرقى النصوص، وهذا فهم الكثير إلا أنَّ الذي ينبغي أن يُفهم هو روح النصوص التي نتعامل معها كإبداع في الحقل الأدبي، وكأسلوب وبناء في الحقل اللساني.

مثل هذا الأمر لنْ يتأت إلاّ إذا ضُبطت المحتويات من قبل فريق مُتميِّز، باعتبار أنَّ" عملية اختيار المحتوى ليست عملية متجردَة من الأسس والأصول التي يرجع إليها لاشتقاق هذا المنهج، أي أنَّها ليست مسألة عفوية تخضع لوجهة نظر شخصية مهما توافر لها من خبرات في الميدان، ولعلَّ هذا يُشير إلى أنَّ هذه العملية أي عملية اختيار المحتوى تتطلب فريقاً مُتكاملا تتمثل فيه الأبعاد المعرفية والاجتماعية والسيكولوجية والفلسفية حتى يأتي الاختيار في النهاية ترجمة لكافة المؤثرات التي يخضع لها المنهج سواء في مرحلة تحديد الأهداف، أوْ اختيار المُحتوى، "[4] بمثل هذا الإجراء يمكن أن نحكم بالتوافق القائم بين الأهداف المسطرة، والمحتويات المُنفّذة، ولن يتحقق ذلك إلاّ إذا تعين على هيئة التَّأطير أثناء انتقاء المحتويات مراعاة ميولات الطلبة وذلك لإحداث قابلية التعليم.

العلاقة العرضية بين محتويات التخصّص الواحد: إنَّ الذي يجب أن ننتبه إليه في سنوات التَّخصص هو مُراعاة العلاقة القائمة بين المواد المدرَسة للتخصص الواحد الذي " لا بُدَّ أن يكون الفريق المشارك في وضع هذه الخطَّة وتنفيذها على درجة كبيرة من الوعي بأهمية هذا الأسلوب وقيمته التربوية ومغزاه بالنسبة لمسألة تعزيز فكرة تكامل المعرفة، و أنْ تكون مواطن الربط طبيعية ومنطقية و بعيدة الافتعال " [5]، فإذا أردنا أنْ نُسقط هذا البند على واقع اللغة في التخصصات التي افترضناها سابقا (1 – الدراسات القرآنية. 2- المعجمية. 3- النقد الأدبي. 4 – الأدب المسرحي)، وحتى تتضح الأمور في ربط المحتويات بالتخصصات سأقتصر على تخصَّص" المعجمية " كمثال مُقترحا المواد التي تخدم هذا التَّخصَّص و المُحتويات المُنضوية تحته، فبالإضافة إلى وحدات التعليم الاستكشافية التي أراها تخدم المعجمية كالدراسات الصوتية – النحوية – الصرفية – فقه اللغة – كونها مقاييس مساعدة ينبغي أنْ نُركز على كُلَّ ما له علاقة بالمعجمية في وحدات التعليم الأساسية بدءاً بمقياس:

- تاريخ المعاجم – صناعة المعاجم – المعاجم العربية القديمة ومنهجها – طرق البحث في المعاجم – المعاجم الحديثة .

وفي مستوى أعلى بالنسبة لهذا التخصص نترق معه في المجال ذاته مع التَّوسع في دقائق الأمور، والحرص على ربط الوحدات والمُحتويات بالواقع الفعلي للطالب بُغية الخروج من النَّمطية و الرَّتابة، و هو ما حاولت أن أُبيّنه في الجدول التالي :

ميدان الآداب – فرع العلوم الإنسانية – تخصص معجمية .

الرقم	وحدات التعلم	العناوين	الملاحظة
01	الأساسية	-تاريخ المعاجم – صناعة المعاجم – المعاجم العربية القديمة – طرق البحث في المعاجم .	مما ينبغي أن نلاحظه العامل المشترك "معاجم" الذي يمثل تخصص الطالب
02	الاستكشافية	- نحو. - صرف - صوتيات - فقه اللغة	إنَّ استنباط محتوياتها ينبغي أن يخدم الوحدات التعلمية الأساسية .
03	المنهجية	ويمكن للطالب أنْ يستجليها في الانتقال المنهجي المراعي للتسلسل الزمني الخاص بتخصصه .	مع وُجوب ارتباطها بالوحدات الأخرى، وخدمتها للجانب المنهجي .
04	الأفقية	ويتحكم في طبيعتها مرجعية الميدان الأدبي واللغوي، و وحدات التخصص.	ضرورة إيجاد علاقة بين الأنشطة المُدرَّسة .

كُلَّما تحكم الفريق التربوي في ضبط الوحدات التعليمية، وحرص على إحداث الأقلمة بينها وبين الواقع الثقافي والاجتماعي انعكس ذلك إيجابا على تحصيل الطلبة.

حينما يترقى الطالب إلى مستوى أعلى نُركز على المعاجم الحديثة قصد ربط التخصص بالواقع معتمدين على الوسائل التكنولوجية في البحث المعجمي مُخللين ذلك بما توصلت إليه الدراسات الصوتية والنحوية والصرفية الحديثة، وربط كُلَّ ذلك بالألفاظ باعتبارها تُمثل المادَّة الخام للمعجم، وهو ما ركز عليه ابن خلدونِ في شأن وجه التعليم المفيد " ثم يرجع إليه و قد شدا، فلا يترك عويصا، ولا مُبهماً ولا مُنغلقاً إلاَّ وضَّحه وفتح له مُقفله، فيخلص من الفنَّ وقد استولى على ملكته، " [6] فالتخصص حينما يدور فُلكه في المادَّة وما يخدمها ينعكس ذلك إيجابا على الطالب، فيلمَّ به و يتحكم في جوانبه .

لا ينبغي أنْ نقف عند هذا الحدَّ في اقتراح المسارات والتخصصات بلْ لا بُدَّ من تقويمها بما يتماشى وطبيعة اللغة والأدب مُركزين في ذلك على " تحليل المحتوى – الاستبيانات – استطلاعات الرأي – جلسات الاستماع – التقارير الفردية – التقارير الجماعية – بطاقات الملاحظة " [7] وكُلمَّا تعدَّدت أشكال تقويم المسارات والتَّخصصات، واعتُمدت فيها المعايير الموضوعية مكَّننا ذلك من ترقية التَّخصُّصات، وعصْرنتها –

إنْ صحَّ ذلك - ،" وبالتالي يصبح المجتمع المحلي هو البيئة التي يتعلم منها الفرد والتي يصل من خلال حياته فيها إلى مشكلات عليه أن يبحث في جذورها وأصولها، وأن يجري عملية تقويم شاملة لكلّ أبعادها ولأفكاره ومفاهيمه حولها وصولا إلى ما يمكن أن يفيد الإنسان و يرفع من مكانته و يعلى من شأنه في الحياة الحاضرة و المستقبلة "[8] ، وهو ما تهدف إلى تحقيقه الجامعة الجزائرية في إنشاء مخابر البحث وتطويرها، ولن ترقى إلى ذلك إلاّ إذا اعتمدت في منطلقها على مشكلات من الواقع الفعلي في حقل اللغة والأدب قصد إيجاد حلول شافية، وبهذا المنحى نضمن ترقية هذا الحقل .

بُغية ترقية الفعل الديداكتيكي في جامعاتنا الجزائرية يتعين على الفريق التربوي التركيز على تشجيع العمل الجماعي حيث " يتفق العلماء على أنَّه يزداد شعور الفرد بالأمن والتقدير الاجتماعي كما يزداد اعتداده بنفسه واعتزازه بها حين ينتمي إلى جماعة قوية يتفحص شخصيتها، ويوجد نفسه بها كالأسرة القوية، "[9] وفي حقل اللغة والأدب يُمكن لأستاذ المادة أنْ يُركز على عمل الأفواج من خلال التحكم في إنجاز المشاريع باعتبار مصطلح المشروع أبلغ في الطريقة الديداكتيكية الحديثة من البحوث التي أصبحت تستنسخ من مواقع الأنترنت، ولا أثر لشخصية الطالب فيها .

كما ينبغي أن نُراعي صيرورة مشاريع الأفواج في المادة الواحدة، وربط بعضها ببعض لبلوغ وتحقيق مشروع المادة الذي ينبغي أنْ يُتوَّج عند نهاية السداسي، أو العام الدراسي- حسب التخطيط الزمني الرَّسمي للمواد -، وبنفس الطريقة نتعامل مع بقية الوحدات، فينتج لدينا مشروع الفوج السنوي، وهذا كلَّه يجب أنْ يكون في المرحلة الثانية كونها " تهدف إلى تعميق المعارف الأساسية للفرع المختار، والتمهيد للتَّخصص، وتخصَّ عموما السداسي الثالث والرابع من التكوين ." [10]

إذا اعتمدنا على إقحام الجانب العلمي في التخطيط للمسارات و التخصصات اللغوية، و الأدبية لطلبة نظام "ل.م.د" نكون بذلك قد وفرنا لهذا الإصلاح جانبا من المصداقية، ووفرنا لطلبتنا شيئا من الأقلمة بين ما يُدرَّس في حقل اللَّغة والأدب، وبين الواقع المعيشي والديداكتيكي الحاصل في اللسانيات التطبيقية لحظتها نحكم للإصلاح بأنَّه مشدود بالواقع .

الخاتمة:

بعد تقديم وشرح فحوى هذا التّصوّر المتضمن لكيفية مقاربة المحتويات للتخصصات، يمكن أن نقف على جملة من النتائج منها :

- ضمان تفعيل ودفع الدّراسة في اللغة والأدب، والذي لن يتمّ إلاّ بالربط المنطقي بين المحتوى، وطبيعة التخصّص .

- تفادي الاعتباطية والتكرار في تقديم المحتويات اللغوية، والأدبية .
- الارتقاء بتعليم أنشطة اللّغة والأدب .
- بلوغ إصلاح ناجح .

ملحق : (استبيان)

بعد إنهائك للسَّنة الأولى، و قبولك في السنة الثانية التي تُمثل مهد الدِّراسة التَّخصصية في حقل اللُّغة والأدب العربي جدير برئيس ميدان " ل.م.د " لمعهد الأدب و اللُّغة العربية أنْ يضع بين أيدي الطلبة هذا الاستبيان بُغية ملئه بعناية، و موضوعية .

1 - هل ترغب أنْ تُتابع دراستك في الحقل اللُّغوي .... أم الأدبي .....

- لماذا ؟ .....

2 - ما هي الشعبة التي تقترحها كفرع تخصُّصي ؟

- .....-.....-.....-.....

3 - بم تبرِّر اختيارك لهذه الشعبة ؟

- أُذكر بعض الأسباب .....

4- ما هي المواد، أو الوحدات التي تقترحها لهذه الشَّعبة ؟

-.....-.....-.....-.....-.....-

5- هل تودُ مُواصلة دراستك فيما بعد اللِّيسانس ؟

نعم ..... – لا .....

هوامش البحث :

1- علم المناهج الأسس والتنظيمات في ضوء الموديولات، محمد السيد علي عامر للطباعة والنشر مصر 1998م، ص 26.

2- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، اللجنة الوطنية للتأهيل دليل إعداد عروض التكوين لليسانس والماستر، مبادئ عامة ديسمبر 2009م، ص4.

3- علم المناهج الأسس و التنظيمات في ضوء الموديولات، محمد السيد علي، ص 143، 144، 145 .

4- المنهج:الأسس، المُكونات،التَّنظيمات، أحمد حسين اللقاني، عالم الكتب د.تا، ص155-156.

5- المنهج : الأسس، المُكونات، التَّنظيمات، أحمد حسين اللقاني، ص223.

6- ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2004 م، ص252.

7- تطوير مناهج التعليم، أحمد حسين اللقاني، عالم الكتب، الطبعة الأولى 1995م، ص 61.

8- المناهج بين النظرية والتطبيق، أحمد حسين اللقاني، عالم الكتب الطبعة الرابعة 1995م، ص68.

9- بناء الشخصية والتفاعل في الجماعة التعليمية، جمال محمد أبو شنب، دار المعرفة الجامعية مصر، د.تا، ص 62.

10- دليل إعداد عروض التكوين لليسانس والماستر، مبادئ عامة ديسمبر2009م، ص4.